الفصل السابع

من هو يسوع؟

سؤال لا يمكننا التغاضي عنه اذ بجوابه يتعلق تفسيرنا للأناجيل . احدى الطرق التي تمكننا من وصف من هو يسوع تكمن في تحليل الاسماء التي اطلقها عليه الآخرون او التي اطلقها هو على نفسه. وهنالك طريقة اخرى تعتمد دراسة اقواله وافعاله. سنتناول في هذا الفصل معنى اسماء يسوع وفي الفصل التالي تعليمه كما وصل الينا بالامثال والعجائب .

عندما حاول معاصرو يسوع الكشف عن هويته ، كانوا يتحدونه باحدى الشخصيات المرتبطة بالتوقعات المسيانية التي كانت منتشرة بين اليهود . فظنه اناس بأنه يوحنا المعمدان وظنه آخرون بأنه ايليا وذهب البعض الآخر الى انه « احد الانبياء » (مر ٨ : ٢٧ وما يوازيها). قطع هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير رأس يوحنا ، ولكن « الكل آمنوا ان يوحنا كان نبيا » (متى ٢١ : ٢٦) وانسانا « بارا وقديسا » (مر ٦ : ٢٠) . وكان من المتوقع ان يأتي ايليا ثانية قبل ظهور ماسيا . وحسب تقليد العهد القديم هنالك رجلان لم يموتا ، هذان الرجلان هما ايليا واخنوخ . فاخنوخ سار مع الله و« اخذه الله » دون ان يمر بتجربة الموت (تكوين ٥ : ٢٤) .

واما ايليا « فصعد في مركبة الى السماء » (٢ ملوك ٢ : ١١) . هذا التقليد قوى الاعتقاد بأن ايليا سيرجع « قبل ان يأتي يوم الرب العظيم والمخيف » (ملاخي ٤ : ٥) (١) . ومما اعتقده اليهود ان يسوع هو النبي الذي كان موعودا به في الايام الاخيرة ، عندما يقيم الله نبيا مثل موسى (تثنية ١٨ : ١٥) يكون « النموذج الاول للنبي الحقيقي » (تثنية ٣٤ : ١٠ — ١١) . لذلك اعتقد الشعب ان يسوع كان ذلك النبي او موحدا مع يوحنا القائم من بين الاموات او ايليا . وبالتالي فليس هو المسيا بل اشارة الى ان العصر المسياني آت قريبا .

سأل يسوع تلاميذه : « وانتم من تقولون اني هو » — والتشديد هنا على « انتم » (hymeis) — فاجاب بطرس الناطق باسم الجماعة : « انت المسيح » (مر ٨ : ٢٩) اي انت المنقذ المنتظر . هذا الاعتراف الذي جرى في قيصرية فيلبس يمثل تحولا اساسيا في حياة التلاميذ . فاذ كانوا مقربين اليه ، رأوا فيه اكثر مما رأى الآخرون واعترفوا به انه المسيح . لكن هذه التسمية وحدها لم تكن كافية لوصف شخص المسيح وعمله . وبدون ان يرفض اقرانه بالملك المسياني الذي كانت تتوقعه الاوساط اليهودية الشعبية ، اخذ يسوع يعلم حقيقة مسيانيته ، فاختار وجمع وحول اسماء مسيانية قديمة ليخرج منها شيئا جديدا (٢) .

المسيح (في اليونانية Christos والعبرية Mashiah)

كلمة « مسيح » تعني المسوح اي المنتظر الذي سيأتي من نسل داوود . فالله وعد داوود بأن بيته ومملكته وعرشه سيقومون الى الابد (٢ صموئيل ٧ : ١٢ . ١٦) . وسيعود اسرائيل الى سابق عهده ، فتتحد الارض المقسومة مرة ثانية ويحكمها ملك واحد . « سيكون خادمي داوود ملكا عليهم ، وسيكون لهم جميعا راع واحد » (حز ٣٧ : ٢٤) ، اي سيكون داوود ملكا على اسرائيل الموحد الى الابد (حز ٣٧ : ٢٥) . فيما بعد وعندما قوي التعلق بالقومية اليهودية ، وخاصة في العصر الهليني ، اخذ الرجاء المسياني معان سياسية . فكان معاصرو يسوع يتوقعون مجيء زعيم قومي وملك قوي يلعب دور مسيح الرب ويخلص شعبه من النير الروماني ويعيد

الملك الى اسرائيل . وكانت الجموع التي تقبلت بغبطة كلام يسوع وتلاميذه تشارك في هذا المفهوم لمجيء ماسيا . وقد استمرت في هذا الفهم وهذا الرجاء حتى النهاية .

عندما دخل يسوع اورشليم على ظهر الحمار ، الحيوان المسالم ، اوضح للجميع انه ملك لا يريد استخدام السيف ، لكنه يحمل للعالم سلاما وسيوجد علاقة جديدة بين الله والانسان . لكن الجموع كانت ما تزال تتطلع الى ملك من نوع آخر . ولقد اشار الانجيليون الى التوتر بين التوقعات الماسيانية للشعب والماسيانية التي حققها يسوع . وقد انعكس هذا التوتر في تصرفات الجمهور تجاهه والهتافات التي استقبلوه بها . « والجمع الكثير فرش ثيابه في الطريق ... وكانوا يهتفون قائلين اوصنا لابن داوود ، مبارك الآتي باسم الرب » (متى ٢١ : ٨ — ٩) . فالجموع ارادت ملكا يختلف عن ذاك الذي يمثله يسوع الراكب على اتان (زخريا ٩ : ٩) . وتوقعت ان يكون يسوع ملكا مثل ياهو (٢ ملوك ٩) الذي فرش الجمع امامه ثيابهم ونفخوا بالبوق وصرخوا « ياهو هو ملك » (٢ ملوك ٩ : ١٣) . كان ياهو هذا ملكا ثورويا دمويا . وهذا ما ارادته الجماهير ان يكون يسوع ملكا لا يتردد في استعمال السيف لتحقيق احلامها القومية . هذا الشعور شارك به التلاميذ . وبطرس الذي اعترف بأن يسوع هو المسيح لاقى صعوبة في فهم تعليم يسوع عن ابن الانسان وآلامه . وبما ان التوقعات الماسيانية آنذاك لم تكن تربط الآلام والالوهة بماسيا ، هكذا فعل التلاميذ بالنسبة ليسوع . اما يسوع فظهر مسيحا متألما ومتألها بآن وبالتالي كشف عن نفسه بطريقة غير متوقعة .

وحتى في اليوم « الاول من الاسبوع » الذي هو يوم قيامة المسيح ، كان رجاء الخلاص القومي ما زال يدور في خلد التلاميذ . وكان اثنان منهم في حالة من اليأس جعلتهما غير قادرين على تصديق النسوة اللواتي وجدن القبر فارغا بأن يسوع حي كما قال الملاك . « وكانا يتحادثان عن تلك الحوادث كلها وفيما هما يتحادثان ويتساءلان ، دنا منهما يسوع نفسه وكان يسير معهما . ولكن امسكت اعينهما عن معرفته » . فأخبره احدهما وهو كليوباس عن ادانة يسوع الناصري وصلبه وعن خيبة الآمال التي كانت معلقة عليه : « كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل » (لو ٢٤ : ١٣) . الايمان

بالقيامة وحده يمكنه التغلب على هذه « الآخروية القومية » ويضمدها .

يفترض البعض ان السؤال التالي الذي وجه الى المسيح قبل صعوده بقليل : « يا رب أفي هذا الزمان ترد الملك الى اسرائيل ؟ » ، (اعمال ١ : ٦) يتعلق ايضا بمطامع قومية . لكن جواب المسيح : « ليس لكم ان تعرفوا الاوقات والأزمنة التي جعلها الآب في سلطانه » (اعمال ١ : ٧) يعيد السؤال الى يوم الدينونة الاخير وليس الى اعادة السلطة السياسية الى اسرائيل . وهكذا اراد يسوع افهامهم ان السؤال لا يمت بصلة الى اعادة الملك الارضي لاسرائيل بل الى مجيء المسيح الثاني (٣) . ويكون بالتالي قد استفاد من المناسبة لتصحيح آراء تلاميذه المسيانية ونقلهم عن معتقداتهم التقليدية الى مفهوم جديد وارفع لمسيا .

لقد ارتضى يسوع ان يطلق عليه لقب المسيح . ومع المرأة السامرية قبل اللقب دون تحفظ (يو ٤ : ٢٥ ــ ٢٦) . لعل ذلك يعود الى ان مفهوم السامرية للمسيانية لم يكن يحمل معاني سياسية وان حمل مقليلا جدا (٤) . فكلمة « المسيح » كما كانت تستخدم ايام المسيح لم تكن تعبر بشكل صحيح عن مسيانية يسوع وشخصه ، لكن الكنيسة استخدمت هذه الكلمة ، بعد العنصرة ، دون اي تخوف من ان تحمل معنى سياسيا .

ابن الانسان وخادم الرب المتألم

استخدم يسوع عبارة « ابن الانسان » ليبين معنى كلمة « المسيح » . ووحد بين « ابن الانسان » و « خادم الرب المتألم » ليحمل اليها فكرة الآلام والسيادة بآن . وعندما سأله رئيس الكهنة « هل انت المسيح ؟ » ، اجاب : « انا هو . وسترون ابن الانسان جالسا عن يمين القدرة » (مر ١٤ : ٦١ ــ ٦٢) . ان عبارة « ابن الانسان » ، في تعليم يسوع ، لها الاولوية على عبارة « المسيح » . ومن المهم الملاحظة ان تعبير « ابن الانسان » ورد في الاناجيل الاربعة وفي كل مصادر التقليد (مرقس ، L, M, Q) وان يسوع وحده استعمل هذا التعبير . وقد وردت هذه العبارة اكثر من ٨٢ مرة على لسان

يسوع . فعندما كان يتكلم عن عذابه وآلامه وموته كان دائما يشير الى كونه « ابن الانسان » . ولما وصف وضعه الانساني المتواضع استعمل عبارة « ابن الانسان » : « للثعالب اوجرة ، ولطيور السماء اعشاش ، واما ابن الانسان فليس له موضع يسند اليه راسه » (لو ٩ : ٥٨ ، متى ٨ : ٢٠) . هذا احد معاني عبارة « ابن الانسان » . ويمكن استنتاج معان آخرى في اقوال يسوع التي تشير الى سلطانه على مغفرة الخطايا وسيادته على الشر واخيرا مجيئه الثاني : « ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده » (متى ٢٥ : ٣١) . لقد كان مجيء ابن الانسان الاول متواضعا ، لكن مجيئه الثاني سيكون بمجد . هذان الحضوران يجمعهما ويوحدهما شخص واحد عاش في فقر مدقع لكنه يجلس الآن « عن يمين الآب » وسيأتي في ملء مجده . اذن فلقب « ابن الانسان » يعبر عن ناسوت يسوع وعن الوهيته .

تشير الاناجيل الى ان يسوع لفت انتباه اتباعه الى بعض الآيات في العهد القديم التي تساعدهم على فهم دوره ومكانته في تدبير الله الخلاصي . في تنبؤه عن موته وقيامته دمج يسوع نصين في العهد القديم هما الاصحاح ٥٣ من اشعياء والاصحاح السابع من سفر دانيال . لعل هذين النصين اكثر النصوص اهمية في العهد القديم لفهم رسالة يسوع وشخصه . الاصحاح الـ ٥٣ من اشعياء يتألف من ١٢ آية ، واحدة منها فقط غير مستخدمة في العهد الجديد . اما الآيات الاخرى فاما ان تكون مستشهدا بها او مشارا اليها في الاناجيل واعمال الرسل ورسائل بولس ورسالة بطرس الاولى . وفيما يتعلق بالاصحاح السابع من دانيال فهناك رجوع اليه في كل الاناجيل ورسائل بولس وسفر الرؤيا بالاضافة الى التلميح غير المباشر في مقاطع اخرى (٥) .

اما الآيات الاساسية في الاصحاح السابع من دانيال فهي :

«ورايت في رؤى الليل . فاذا بمثل ابن الانسان آتيا على سحاب السماء فبلغ الى قديم الايام وقرب الى امامه ، واوتي سلطانا ومجدا وملكا ، فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونه وسلطانه سلطان ابدي لا يزول وملكه لا ينقرض » (٧ : ١٣ ـ ١٤) .

ولكن ابن الانسان الذي ينصر « قديسي العلي » (٧ : ١٨) يعطي ملكا ابديا . وابن الانسان هذا هو ملك الملك الابدي وماسيا . وفي الكتب الابوكريفية اليهودية وخاصة في اخنوخ الأول المعاصر لدانيال (١٦٠ ق.م.) يصور « ابن الانسان » على انه فرد اكثر منه شخصية جماعية . وسواء اكان التشديد على الجماعة ام على الفرد فان ابن الانسان يظهر كائنا متعاليا وسماويا . كل هذا يناقض التوقعات المايسيانية الشعبية في ايام يسوع بالرغم من تأكيد يسوع في جوابه لبيلاطس ان مملكته « ليست من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦).

الانتقال من الشخصية الجماعية الى الشخصية الفردية يرى (بضم الياء) في أناشيد خادم الرب المتألم (اشعياء ٤٢ : ١ — ٤ ، ٤٩ : ١ — ٦ ، ٥٠ : ٤ — ٩ ، ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) . من هو هذا الخادم المتألم ؟ انه شعب الله وفرد في آن . فهو احيانا واحد مع اسرائيل واحيانا اخرى فرد يتجاوز دوره دور الامة وامكاناتها وحتى دور « البقية المقدسة » . في هذه الاناشيد نجد تقلصا مضطردا للشخصية الجماعية يرافقه تعاظم متزايد للشخصية الفردية . في الاناشيد الثلاثة الاولى لا تعرف متى يقصد النبي في حديثه الامة ومتى يقصد الفرد . ففي النشيد الاول يطغى الطابع الجماعي اما في الثاني والثالث فيتضاءل هذا الطابع تدريجيا الى ان تذوب شخصية الجماعة كليا في النشيد الثالث في شخصية فردية . اما النشيد الرابع فيتكلم بوضوح عن شخص الامه جزء رئيسي في رسالته وليست نتيجة لها (٦) .

لقد اطلق يسوع على نفسه لقبي « ابن الانسان » و « الخادم المتألم » ممثلا نفسه مع الصورة الرفيعة لابن الانسان ومتمما دور خادم الرب المتألم . يسوع ظهر الى الوجود شعب جديد لله . واصبح يسوع بداية ورأس وممثل هؤلاء الذين يتبعونه ويشاركون في مصيره . هذا هو الشعب المتألم والخادم المتألم الذي سينصره الله في النهاية .

وقد وجد يسوع في حياته على الارض بين « ابن الانسان » و « الخادم المتألم » . وكان هو ابن الانسان الذي اتى ليتألم . اما في دانيال واخنوخ فلا يقدم لنا ابن الانسان كشخص . واما في الاناجيل فهنالك اشارات ضمنية عديدة الى آلام يسوع المستقبلية والى

موته ، وكذلك تنبؤاته العلنية عن رذله وآلامه وموته وقيامته . في النبوءات الثلاث عن الالام نجد دائما ان « ابن الانسان » هو « الذي سيتألم كثيرا » (مر ٨ : ٣١) و « سيسلم الى ايدي الناس » (مر ٩ : ٣١) و « الى رؤساء الكهنة والكتبة » (مر ١٠ : ٣٣) . وفي هذه النبوءات يتكلم يسوع عن آلامه الشخصية . فهو كالخادم المتألم « رذل ورفض من الناس » وصار « رجل اوجاع ، جرح من اجل معاصينا » (اشعياء ٥٣ : ٣ ـ ٥) . وكالخادم « اذل واهين لكن لم يفتح فاه » (٥٣ : ٧) مشيئة الرب ان يضرب الخادم ويحزن وهي ايضا في انه « يرى ذريته وتطول ايامه » (٥٣ : ١٠) . وهذا ما حصل لابن الله المتجسد . فقد « طالت ايامه » لأن الله اقامه وحرره من سلطان الموت « اذ لم يكن ممكنا ان يمسكه الموت » (اعمال ٢ : ٢٤) . ومجرى الاحداث في اشعياء ٥٣ من اهانات وادانة وطول العمر نجدها تنعكس تماما في النبوءات الثلاث عن آلامه . ففي كل منها يشير يسوع الى آلامه وموته وقيامته (٧) . ولقد استخدم يسوع نفسه في تفسير رسالته الماسيانية صورة ابن الانسان الذي اتى من العلى وصورة خادم الرب الذي « حمل خطايا كثيرين ، وابتهل من اجل العصاة » (اشعياء ٥٣ : ١٢) .

في الإنجيل الرابع وفي الاناجيل السينابتية يتحدث يسوع عن ادانته وقيامته . في الانجيل الرابع نجد الاقوال الثلاثة التالية تتنبأ عن الالام : « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرتفع ابن الانسان » (٣ : ١٤) ، « اذا رفعتم ابن الانسان فحينئذ تعرفون اني انا هو واني لست افعل شيئا من عندي ولكن كما علمني الآب كذلك اقول » (٨ : ٢٨) ، « اذا ارتفعت عن الارض جذبت الي الجميع » (١٢ : ٣٢) . المقاطع الثلاثة تشير الى ان ابن الانسان مزمع ان يدان ويتمجد . ويستخدم الانجيل فعل ارتفع hypsothenai بمعنيين مختلفين ، الاول يدل على صليب يسوع والثاني يعني تمجيده الذي سيكتمل بالقيامة والصعود . ويشير المقطع الاخير وكذلك الاثنان الاولان الى ابن الانسان بالرغم من انهما لم تسمه . فيبدأ المقطع هكذا : « قد اتت الساعة التي يمجد فيها ابن الانسان » وينتهي : « تكلم يسوع بهذا ثم مضى

وتوارى عنهم » (١٢ : ٣٦) . وبعدما تكلم يسوع للمرة الثالثة عن «رفعه» ، اضاف يوحنا : « انما قال هذا ليدل على اية ميتة كان مزمعا ان يموتها » (١٢ : ٣٣) . فاحتجت الجموع : « قد سمعنا من الناموس ان المسيح يدوم الى الابد (٨) فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان . من هذا ابن الانسان ؟ » (١٢ : ٣٤) . لقد فهمت الجموع ان يسوع يتحدث عن موته وفي ذهنها يستحيل الربط بين ماسيا والموت .

لا تكشف نبوءات يسوع عن آلامه اية رغبة مرضية في الاستشهاد لأن هدفه كان ان يعمل مشيئة الآب ويتمم الرسالة التي ارسله الآب من اجلها (٩) . لقد اراد يسوع ما اراده الآب جاعلا مشيئة الآب مشيئته . « ان الابن لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئا الا ما يرى الآب يعمله لأنه مهما يعمله ذلك فهذا يعمله الابن ايضا على مثاله » (يو ٥ : ١٩) . عندما تنبأ يسوع عن موته اشار في الوقت ذاته الى قيامته . فكانت حياته رحلة تبدأ من الآب وتنتهي اليه . كذلك تكلم عن النصر الذي سيحرزه على الصليب وبواسطة الصليب . والقيامة كشفت عما تحقق على الصليب . اما الجموع فلم تستطع ان تعي بأن موت يسوع سيكون ذروة رسالته العامة وبداية نوع جديد من الحياة .

ابن و رب

لم تقتصر القاب يسوع على « المسيح » و « ابن الانسان » و « الخادم المتألم » ، بل تجاوزتها الى القاب منها لقبان يكشفان امورا جديدة عن يسوع وماسيانيته وهما : « الابن » و « الرب » .

تحتل البنوة الالهية مكانة بارزة في انجيل القديس يوحنا . فالله الآب بذل ابنه الوحيد لأجل خلاص العالم ، « لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل وسيريه اعظم من هذه الاعمال لتتعجبوا انتم لأنه كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن يحيي من يشاء لأن الآب لا يدين احدا بل اعطى الحكم كله لابنه » (يو ٥ : ٢٠—٢٢) . والابن يمجد الآب الذي « لم يره احد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو اخبر » (يو ١ : ١٨) . وكما في انجيل يوحنا نجد في الاناجيل السينابتية ان موضوع البنوة الالهية قد طرق . « كل شيء قد دفع الي من ابي ، وليس احد يعرف الابن الا الآب ولا احد يعرف

الآب الا الابن ومن يريد الابن ان يكشف له » (متى ١١ : ٢٧ ، لو ١٠ : ٢٢) (١٠) .

لقد عبر يسوع عن يقينه المطلق (متى ١١ : ٢٧) بانه يعرف الله معرفة كاملة (١١) ، معرفة تفوق كل ما ادعاه انبياء العهد القديم . فهؤلاء قالوا بأنهم « رأوا » يهوه « وسمعوه » لكنهم لم يدعوا اطلاقا بأنهم « عرفوا » يهوه (الله) . معرفة يسوع هذه لم تكن تاريخية ولا فلسفية ولم تأت نتيجة الهام بل نتيجة اتحاد شخصي : « انا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) .

لقد ظهرت بنوة يسوع الالهية في احداث حياته ومن خلال امثاله . فدعاه الآب اثناء المعمودية والتجلي بـ « ابنه الحبيب » (مر ١ : ١١ ، ٩ : ٧) . وسمى نفسه في مثل الكرامين الاشرار « الابن الحبيب » (مر ١٢ : ٦) . وكان لهذا المثل طابع السيرة الذاتية ، ولم ينقض اسبوع على اعطائه حتى حكم على « الابن الحبيب » بالموت .

عندما كان يسوع يعلم في الهيكل استشهد بالمزمور ١١٠ سائلا : « كيف يقول الكتبة ان المسيح هو ابن داوود ؟ » ، ما دام داوود نفسه قد قال : « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئا لقدميك » . ثم اضاف قائلا : « فداوود نفسه يدعوه ربا فكيف يكون هو ابنه ؟ » (مر ١٢ : ٣٥ ــ ٣٧) . يظهر من تساؤل يسوع ان لقب « ابن داوود » الذي كانت له جذور عميقة في التوقعات الماسيانية الشعبية لم يكن كافيا للتعبير عن ماسيانية يسوع ولم يعط الطريق الصحيح لايجاد جواب قاطع عن هوية يسوع وهدف عمله الخلاصي . فمن دون ان يرفض يسوع لقب « ابن داوود » قاد سامعيه الى الايمان بأن ماسيا هو ارفع من ابن داوود لا بل انه رب داوود . وبجمعه لقبي « ابن داوود » و «الرب» يكون قد رفض الصبغة السياسية التي كانت تحيط بكلمة « ابن داوود » . وكذلك حذت الكنيسة الاولى حذو يسوع في هذا التفسير معرفة يسوع « بالرب » وانه ابن لداوود « بحسب الجسد » .

كان لقب « رب » اقدس اسم يمكن للكنيسة ان تطلقه على المسيح القائم من بين الاموات (١٢) . واولى الصلوات الآرامية كانت

تحوي العبارة : « ماران اثا ، ايها الرب تعال » (١ كور ١٦ : ٢٢) ، فباستعمالها كلمة « رب » تكون الكنيسة في اورشليم الحقت بالمسيح المجد الالهي الذي كان يخص في السابق يهوه وحده . لكن بعض علماء العهد الجديد يؤيدون الرأي القائل بأن لقب « الرب » (كيريوس) قد اطلقته على المسيح الكنائس اليونانية وليس كنيسة اورشليم . وبالتالي فالكنائس ذات الاصل اليهودي لم تستعمل هذا اللقب اطلاقا . ولكن اسفار العهد الجديد كلها لم تشر الى اي جدل قام بين الكنيسة الأم والجماعات المسيحية اليونانية الاصل حول منح يسوع لقب كيريوس (١٣) . ليس مستغربا ان يكون اليهود المتدينون في العالم الهليني آخر من يستطيع الاعتراف بأن المسيح هو « رب » . وكان لا بد من حدوث شيء فوق العادة في حياتهم واوساطهم حتى يؤدي بهم الى مثل هذا الاعتراف . وعندما قبلوا يسوع واتخذوه ربا اصبح اليهود مؤمنين مسيحيين . وعليه فالبحاثة الذين يعتقدون ان « اليهود القساة الرقاب » لم يطلقوا على يسوع لقب « الرب » قد تجاهلوا ايمان هؤلاء اليهود بالمسيح (١٤) .

ولقد اتخذت الكنيسة تفسير يسوع للاصحاح السابع من سفر دانيال وللاصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعياء النبي . ان مجرى الاحداث المدونة في الاصحاح ٥٣ من اشعياء يوجد ايضا في نشيد من اناشيد الكنيسة الاولى الآرامية . وقد ادرج بولس الرسول هذا النشيد الذي يتحدث عن يسوع في اطار يجمع بين « ابن الانسان » و « خادم الرب المتألم » ويعلن « ان يسوع المسيح هو رب » (فيلبي ٢ : ٥ — ١١) . كذلك وحدت الكنيسة في عبادتها بين « ابن الانسان » و « الرب » كما فعل يسوع اثناء حياته الارضية (١٥) .

السر المسياني

لقد لفت يسوع الناس اليه كابن لله في افعاله ومن خلال اقواله ، ولكنه في نهاية بشارته كشف نفسه كليا . مع ذلك يؤكد مرقس على ان يسوع حاول جاهدا معظم حياته ان يبقي ماسيانيته سرا . فعندما صرخ الرجل الذي فيه روح نجس قائلا : « مالنا ولك يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا ؟ قد عرفتك من انت ، انك قدوس

الله » ، انتهره يسوع قائلا : « اخرس واخرج من الرجل » (مر ١ : ٢٤) . « واخرج شياطين كثيرين ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه » (مر ١ : ٣٤) . « وكانت الارواح النجسة اذا رأته تخر امامه وتصرخ قائلة : انك انت ابن الله . فينتهرها كثيرا الا تظهره » (مر ٣ : ١١ — ١٢) . وعندما اقام ابنة يايرس : « اوصاهم كثيرا بأن لا يعلم احد بهذا » (مر ٥ : ٤٣) . وكذلك اوصى تلاميذه « ان لا يقولوا عنه لاحد » (مر ٨ : ٣٠) ، وبعد التجلي « اوصاهم الا يخبروا احدا بعد الا متى قام ابن الانسان من بين الاموات » (مر ٩ : ٩) .

كانت لهذه الحيطة اسبابها الموجبة . فوجود شهود غير مستحبين كان الباعث على طلب يسوع ان يلزموا الصمت . وهكذا تجنب اثارة حماس الجماهير كان وراء منع اي كلام عن اقامة ابنة يايرس . ولأنه كان يعلم ما يدور في خلد الشعب عن الاعتقادات الماسيانية طلب الى تلاميذه عدم البوح بأنه المسيح . لقد رفض دور ماسيا السياسي لأنه اتى ليخلص الشعب من خطاياه ويدخله الى ملكوت الله ، لا ليقيم مملكة ارضية لأسرائيل بعصيان منظم ضد السلطة الرومانية . ومع أن ظل الصليب كان حاضرا عند التجلي (١٦)، ولكن معناه الحقيقي لن يتضح قبل القيامة ، وجب على التلاميذ الثلاثة ان يلزموا الصمت حتى يوم انتصاره على الموت .

بين علماء العهد الجديد من يزعم ان يسوع لم يعلن ابدا انه ماسيا وانما الكنيسة اخترعت بعد القيامة « السر الماسياني » . ويقولون بان العبارات الماسيانية المدونة في الاناجيل ليست ليسوع بل من وضع الكنيسة محاولة بذلك تفسير عدم اعترافها قبل القيامة بيسوع كماسيا . ويضيف العلماء ان الكنيسة آمنت بان يسوع هو ماسيا . ولكن بما انها لم تجد في اقواله ما يدعم ايمانها لجأت الى وضع العبارات الملائمة لها وادعت بان يسوع طلب من تلاميذه ان يبقوا خبر ماسيانيته سرا . ويقول ويرد « ان لمرقس الانجيلي حصة الاسد في ابتداع هذا « السر » . بيد ان هذا الابتداع ليس عملا فرديا بل انجاز جماعي » (١٧) .

لو كان السر الماسياني بالفعل من خلق « دوائر معينة » في الكنيسة الاولى لتوقعنا تطبيقا دقيقا لهذه النظرية في كل ما يتعلق « بتاريخ يسوع » . ولكننا لا نجد هذا التجانس في التطبيق في انجيل

مرقس ، فنجد في بداية الإنجيل يسوع يعطي لنفسه صلاحيات الهية عند شفائه المخلع ، فيقول : « يا بني مغفورة لك خطاياك » (مر ٢ : ٥) . وقد اعتبر الكتبة ذلك تجديفا اذ « من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده » (مر ٢ : ٧) . وهكذا لم يخف يسوع ذاته في هذا المقطع ومقاطع اخرى بل اعلن هويته . ويبدو جليا ان يسوع كان يكتم احيانا سر ماسيانيته ويظهر هذا السر في احيان اخرى . ولعل الانجيليين نقلوا من المصادر التي اعتمدوها كل ما يتعلق بماسيانية يسوع ، وتبدو لاول وهلة هذه المواد على شيء من التناقض . اعلان حينا واخفاء احيانا ! ولكن هذا الامر يطابق كثيرا سر الاعلان الالهي الذي لا نستطيع التعبير عنه بدقة بواسطة الاحداث والكلمات . ماسيا اتى ولن يستطيع العيش حتى النهاية وكأنه ماسيا « سري » ، فكان لا بد له من ان يكشف عن نفسه بطريقته الخاصة ويعلن انه « اكثر » من ماسيا الذي كان ينتظره الشعب .

الفصل الثامن

ملكوت الله

كان يسوع يكرز في الجليل قائلا : « قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٥) . واعلن يسوع ان حكم الله الجديد قد اتى وان قدرة الله وسلطانه سيتجليان في مملكة الله الجديدة . لقد استخدم يسوع عبارة « ملكوت الله » ليعبر عن حكم الله وملكه ، وعن سيادة مملكته . وعندما صرح يسوع بأن ملكوت الله قد اقترب عنى انه اصبح حاضرا (١) ، وان التوقعات القديمة قد تحققت بمجيئه . فالله الذي كان يفعل في العالم منذ بدء الخليقة اصبح على وشك ممارسة حكمه بشكل مختلف . فلم يترك الله للتاريخ ان يأخذ مجراه الطبيعي بل حركه واكمل تاريخ الخلاص بارساله ابنه الوحيد الى العالم .

ان تعليم يسوع عن ملكوت الله يضعه على طرفي نقيض ليوحنا المعمدان وكل الجماعات والحركات الدينية في اليهودية القديمة . فيوحنا كان يكرز بان ملكوت الله ، وهو يوم الدينونة ، سيأتي قريبا . اما الربانية الاقدمون فاعتقدوا بان الملكوت لن يكون في هذا الدهر بل في الدهر الآتي . ولم يتصوروا ابدا انه يمكن للدهرين ان يتداخلا ، في حين اعلن يسوع ان الدهر الآتي قد دخل في الدهر الحاضر .

فملكوت الله « اتـــى » و « سيأتـــي » في آن . وانـــه « تحقق » و « سيتحقق » وان اللحظة الحاسمة قد اتت ولكن النهاية لم تأت بعد (٢) .

الصبغة الآخروية في تعليم يسوع

كان تعليم يسوع آخرويا اكثر منه رؤيويا . ان الفكر الرؤيوي يتعاطى الشؤون المستقبلية دون الماضي والحاضر في حين ان الفكر الآخروي يدخل في حسابه الماضي والحاضر والمستقبـــل . فمـــع يسوع دخل الزمن المستقبلي وغدا الناس امام تحدياته وصار عليهم ان يقرروا ما سيفعلونه الآن في حياتهـــم الحاضرة . امـــا الراؤون اليهود (٢٠٠ ق.م. — ٢٠٠ ب.م.) فقد صوروا المرحلة الاخيرة من التاريخ البشري والدمار العالمي الإخير غير واعين ان الله فاعل في التاريخ الحاضر . صوروها على اساس ان الله لن يتدخل في الشؤون البشرية ولكنه سيظهر في النهاية مجده وقدرته وقضـــاءه على العالم . كان همهم الاول توضيح الخطوط العريضة لاحـــداث المستقبل وحساب المراحل التي تسبق النهاية . وشغلوا انفسهم بتحديد متى وكيف وماذا سيفعل الله ناسين انهم بذلك يحدون من حرية الله وقدرته .

اما يسوع فلم يحدد ابدا موعدا لنهاية العالم بل انكر معرفته « بذلك اليوم وتلك الساعة » (مر ١٣ : ٣٢) ، مع يقينه بان ذلك اليوم آت حتما . وكتهيئة لذلك الحدث الاخير علم يسوع « الفضائل الآخروية » ، حاثا الناس على الاستعداد الدائم واليقظة ، وان يتحلوا بالصبر والثقة ومؤكدا على ان الانســـان سيبقى حتى يعـــد مجيئه مسؤولا عن الاعمال التي يفعلها في هذا العالم .

الفكر الرؤيوي حتمي الطابع ، فيه المستقبـــل غير مرتبـــط بالحاضر بل يقتحمه اقتحاما . ولم يكن في هذا الفكر مكان لايمـــان الانسان ولا لتوبته وهمـــا العلامتـــان الدالتـــان الى استجابـــة الانسان لاعلان الملكوت . ويختلف الراؤون في رسمهـــم للاحـــداث المستقبلية اختلافا جذريا عن انبياء العهـــد القديم . فالنبي ، عندما كان يتنبأ ، كان يأخذ بعين الاعتبار حالة اسرائيل الحاضرة والعهـــد الذي قطعه الله لشعبه . وكانت النبوءة ترتبط عادة بسلوك الانسان

وتصرفاته . مثلا كلام الرب الى ارمياء : « اما استطيع ان اصنع بكم كهذا الخزاف يا آل اسرائيل يقول الرب ، هوذا مثل الطين في يد الخزاف مثلكم في يدي يا آل اسرائيل ، اني بغتة اتكلم على امة وعلى مملكة لاقلع واهدم واهلك فان رجعت تلك الامة عن شرها الذي من اجله تكلمت عليها فاني اندم على الشر الذي فكرت في صنعه بها » (ارميا ١٨ : ٥ — ٦) . هنا يظهر اله ارمياء النبي الها حيا وشخصيا يهتم بكل الناس والامم .

تحقق ملكوت الله بمجيء ابن الانسان . انه هو الملكوت حسب تعبير اوريجنس (autobasileia) . وعندما ارسل يوحنا المعمدان تلميذيه ليسالا يسوع : « انت الآتي ام ننتظر » ، اجاب يسوع : اذهبا واعلما يوحنا بما سمعتما ورايتما : « العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » (متى ١١ : ٣ — ٥) . وعندما سأله تلميذا يوحنا عما اذا كان هو ماسيا المنتظر كان جوابه ان ملكوت الله قد اتى وهذا الملكوت هو الحقيقة الحاضرة . الجواب يجد ذاته يدل على تحقيق وعود الله ويشير الى ان ملكوت الله قد اتى . طردت الشياطين اذ « قد اقترب منكم ملكوت الله » (لو ١١ : ٢٠) .

وفي الوقت نفسه نجد اشارات اكيدة الى ملكوت مستقبلي . اكثر هذه الاشارات وضوحا ما ورد في صلاة يسوع : « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠ ؛ لو ١١ : ٢٠) . ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا الملكوت والملكوت الذي اتى بمجيء يسوع ؟ في مجيئه الاول اخذ يسوع صفة عبد وبدأ ملكوت الله في الظلمة ، ولكن في النهاية عند المجيء الثاني سيظهر ابن الانسان وملكوته في كامل المجد والقدرة . ولن يبقى شيء مخفيا بل سيعلن كل شيء وسيتضح للجميع سر يسوع وسر ملكوته وان تكون هنالك ظلمة في الاعلان الالهي الاخير . وابن الانسان الذي اتى هو نفس ابن الانسان الذي سيأتي وهنالك ارتباط عضوي بين الملكوت الحاضر والملكوت الآتي . وقوى الدهر الآتي تفعل منذ الآن في الدهر الحاضر والتفاوت الظاهر بين المجيئين ليس توترا فكريا بل تاريخي . فابن الانسان هو هو في حضوريه بيد ان عمله سيكتمل في المجيء الثاني ويصبح واضحا للجميع . وهذه هي قاعدة الفكر الاخروي في العهد الجديد .

لقد قامت عدة محاولات لتفسير التضاد الظاهر في تعليم يسوع حول الملكوت منها نظريتان متطرفتان تزيلان كل « توتر » بين الحاضر والمستقبل . النظرة الاولى تعبر عنها نظرية « الآخروية المحققة » (بضم الميم وفتح القاف) . والثانية توضحها نظرية « الآخروية المستقبلية » . اصحاب النظرية الاولى يعتقدون ان الملكوت قد تحقق بيسوع وخدمته ولا يوجد ما نتوقعه في المستقبل . اما الة ئلون بالنظرية الثانية فيغالون في التشديد على اهمية الاعلان الجديد الذي سيتم اثناء الحضور الثاني (Parousia) ، ويزعمون ان خدمة يسوع لم تحقق شيئا . يوجد قاسم مشترك بين النظريتين وهو الفصل التام بين الحاضر والمستقبل وبين الملكوت « التاريخي » والملكوت « الكوني » ، ولكن واحدة منها لا تعبر او تنقل تعليم يسوع حول ملكوت الله .

نجد في الاناجيل آخروية تحققت وآخروية مستقبلية . فالحياة الابدية ، وهي نوع جديد من الحياة ، يمكن عيشها الآن (يو ٣ : ٣٦ ، ٥ : ٢٤ ، ٦ : ٤٧ و ٥٤) . وفي الوقت الذي يشدد فيه يوحنا على ان يسوع قد اتى بالملكوت نجده يظهر ان الملكوت يستلقي في المستقبل . وستكون الدينونة الاخيرة خاتمة لعمل يسوع : « تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ — ٢٩) . وكذلك يظهر هذا النوع من الآخروية في الخطاب الوداعي ليسوع : « انا امضي لأعد لكم مكانا ، وان مضيت واعددت لكم مكانا آتي وآخذكم الي » (يو ١٤ : ٢ — ٣) .

الذين يقولون بان التعليم الانجيلي عن الملكوت هو بمثابة « آخروية ابتدا تحقيقها » (٣) (inaugurated eschatology) هم فقط الذين اخذوا بعين الاعتبار الصعوبة الكامنة في النص الانجيلي بهذا الشأن والتضاد الموجود بين « ما اتى » و « الآتي » . هذان المفهومان للملكوت مختلفان ولكنهما لم يكونا يوما ما منفصلين . فالايمان بان المسيح قد غلب ، وبان الحياة الجديدة فيه معطاة بالاسرار في الكنيسة ينزع عن المسيحيين كل شعور بالقلق تجاه المستقبل ويعطيهم الصبر والثقة لانتظار المستقبل .

الملكوت كما تكشفه الامثال

نجد تعليم يسوع عن الملكوت في عدد من امثاله (٤) . « يشبه ملكوت السموات حبة خردل اخذها رجل وزرعها في حقله . فانها اصغر الحبوب كلها، فاذا نمت صارت اكبر من جميع البقول ثم تصير شجرة » (متى ١٣ : ٣١) . لا تتحدث امثال يسوع عن نمو الملكوت كتطور طبيعي او نمو ذاتي او تغيير سحري بل تؤكد انه نمو عجائبي وتحول يحصل بقدرة الله وبهديه . وكما ان الانسان عاجز عن اجتلاب ملكوت الله الحاضر الى الوجود كذلك لا يمكنه تجاه ملكوت المستقبل الا الصلاة والرغبة في الدخول فيه وان يهيء نفسه لاجل ذلك .

تدعو امثال يسوع المتعلقة بالملكوت الى التوبة التي عبر عنها يسوع في بدء خدمته الخلاصية (مر ١ : ١٥) . كثيرون سمعوا امثاله لكن قلة فقط قبلت دعوتها . قال يسوع لتلاميذه الاثني عشر : « قد اعطيتم معرفة سر ملكوت الله واما اولئك الذين في الخارج فكل شيء لهم بأمثال لكي ينظروا نظرا ولا يروا ويسمعوا سماعا ولا يفهموا لئلا يتوبوا فتغفر لهم زلاتهم » (مر ٤ : ١١ — ١٢) . هذه الآية صعبة التفسير ، لذلك لم يشك الا القليل من النقاد بصحتها . ويبدو للوهلة الاولى ان يسوع قد استعمل هذا الشكل من الامثال ليخفي مضمون رسالته عن « الذين في الخارج » . لكن تعليم يسوع لم يكن ابدا سريا اي انه لم يعط « معرفة سرية » كالغنوصيين بل درب تلاميذه وعلمهم واعطاهم بأقواله وافعاله « سر ملكوت الله » . وهذا وحده كاف لتعريفهم ان نهاية الازمنة حلت عليهم . « سر » الملكوت هذا لم يبق محصورا بقلة من المختارين بل اعلنه يسوع لتلاميذه ومن خلالهم الى الشعب الاسرائيلي كله . ان المثل بالنسبة للذين هم في الداخل مع يسوع واستجابوا لندائه بالتوبة (metanoia) اعلان « لسر ملكوت الله » . اما بالنسبة للذين هم « في الخارج » فالامثال الغاز واحاج وليست اعلانا بان الملكوت قد اتى . وكلمة مثل في العبرية والآرامية يمكن ترجمتها « بأحجية » (٥) . اما استشهاد يسوع بقول اشعياء « اذهب وقل لهذا الشعب : ستسمعون سماعا ولا تفهمون ، وتنظرون نظرا ولا تبصرون » (٦ : ٩) لا يعني ان الامثال قد اعطيت لتغليق اعين الناس ولا

لتقودهم الى الدينونة انما لتظهر المسؤولية الملقاة على عاتقهم من جراء رفضهم قبول الرسالة التي تتضمنها الامثال . سيعاقب الاشرار من اجل نمط حياتهم ، هذا ما حذر منه اشعياء . الله لا يريد ان يكون الناس اشرارا ، ولكنه لسابق علمه بما سيكونون عليه حذرهم بلسان النبي . هذه الجملة من اشعياء هي الاسلوب المميز في العبرية للتعبير بصيغة الامر عن نتيجة رسالة النبي (٦) . ومهمة اشعياء كانت فتح عيون الشعب الاسرائيلي ليروا الاعمال التي صنعها الله نيابة عنهم . الهدف من الامثال كان نفسه والنتيجة كانت مشابهة . فعندما قال يسوع : « توبوا وآمنوا بالانجيل »، لم يستجب له الشعب . وعلى الذي يريد ان يكشف له « سر ملكوت الله » ان يرفض الانتماء الى « الذين في الخارج » وان يتعلم بالتوبة والايمان انه حيث يكون يسوع فهنالك يكون الملكوت .

تشير الامثال الى يسوع على انه الماسيا . اما الصور التي استخدمها يسوع في امثال الملكوت فهي ليست مجرد لوحات عن الحياة اليومية في فلسطين . صحيح انه رأى الشعب يزرع ويحصد ولكن هذه الصور موجودة ايضا في اسفار العهد القديم . ولا بد لنا لفهم مثل الزارع من اخذ خلفيته في العهد القديم بعين الاعتبار (٧) . لقد استخدمت الامثال لغرض ماسياني لتعلن ان كل ما كان متوقعا تحقق في اقوال يسوع وافعاله . ان نفهم مثلا يعني ان نتعرف على ماسيا المنتظر في يسوع الناصري .

الملكوت كما تكشفه العجائب

وكما اعطي تعليم يسوع في امثاله ، كذلك اعطي في عجائبه . فطرده للشياطين شهد على ان ملكوت الله قد حضر (لو ١١ : ٢٠ ، متى ١٢ : ١٨) وان قوة الشيطان قد خضعت دون ان يقضى عليها كليا ، وانه بالرغم من اعتراف الشياطين بالهزيمة (مر ١ : ٢٤) ظلت على مقاومتها ليسوع (مر ٥ : ١ — ٢٠ وما يوازيها). لقد غزا الله مملكة الشياطين ولكن القوة الشيطانية لم تستسلم بل تطلعت الى ضحايا جديدة، اذ ان كراهيتها ليست موجهة ضد الانسان فقط بل ضد كل شيء مخلوق من الله . ففي عجائب طرد الارواح الشريرة نجد صراعا بين قوى الشيطان وقوة الدهر الآتي .

ولا تتضمن بعض العجائب الواردة في الروايات الانجيلية والمتعلقة بشفاء الامراض الجسدية عنصر الصراع بين قوى متضادة، ومع ذلك فكل واحدة منها رمز للملكوت واعلان عنه . ولم تكن عجائب الشفاء امثلة للايمان الشافي ولا نتيجة لانتصار العقل على الجسد ، ولا نتيجة لقوة سحرية (٨) ، بل اجترحها يسوع على اساس طاعته الكاملة للآب واتحاده به . لذلك فهي ايضا تظهر الملكوت وتدل على ان الله ليس غائبا عن العالم الذي خلقه ولا عن الانسان نفسه .

كانت المعجزات كالامثال تدعو الى التوبة . « الويل لك يا كورزين ، الويل لك يا بيت صيدا لانه لو صنع في صور وصيدا ما صنع فيكما من القوات لتابتا من قديم بالمسوح والرماد ... واانت يا كفرناحوم ولو ارتفعت الى السماء فانه يهبط بك الى الجحيم لانه لو صنع في سدوم ما صنع فيك من القوات لثبتت الى اليوم » (متى ١١ : ٢٠ — ٢٤) . وهذه الاعامل الخارقة (Dynameis) ليست عجائب (Terata) بل علامات (Semeia) للملكوت ولاعمال (erga) يسوع (٩) . ولم يفعل يسوع العجائب ليرضي فضول الناس او يثير اعجابهم ولكن لكي يستجيبوا لدعوته بالتوبة ، تلك التوبة التي تؤدي الى تغيير داخلي يشمل الذهن والقلب ويترجم في نمط حياتي جديد موجه الى اتباع يسوع وقبول مصيره الماسياني .

اشار يسوع الى عجائبه فقال : « هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي بأن الآب قد ارسلني » (يوحنا ٥ : ٣٦) . وقال ايضا : « لكنكم لستم تؤمنون لانكم لستم من خرافي » (يو ١٠ : ٢٦) . وبكشف العجائب عن هوية يسوع اظهرت الملكوت الذي دشنه بمجيئه وقد مجدت يسوع لا كفاعل للمعجزات بل كحامل للملكوت .

تخبرنا العجائب بطريقة ملموسة ان زمان الوعد قد انقضى وان العصر الماسياني قد حضر . وتؤكد اعمال الشفاء التي اجترحها يسوع وخاصة في ايام السبوت على الطابع الاخروي للعجائب (مر ١ : ٢١ — ٢٧ ، ٢٩ — ٣١ ، ٣ : ١ — ٥ ، لو ١٣ : ١٠ — ١٦ ، يو ٥ : ٢ — ٦ ، ١٦ — ١٨ ، ٩ : ١٣ ...) . وبقيامه بتلك الاعمال في السبت اكد يسوع صلاحياته الالهية وربط هذه العجائب بالقيامة .

« ها انا اخرج الشياطين واجري الشفاء واليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل » (لو ١٣ : ٣٢) (١٠) . فقيامته حققت ما كان ملمحا به في عجائبه اعني انتصار الحياة على الموت . لذلك نستطيع فقط في ضوء القيامة أن نفهم بعمق تعليمه من خلال العجائب ان ملكوت الله قد اتى فعلا .

الملكوت والكنيسة

ما هي العلاقة القائمة بين الملكوت الذي تحقق بيسوع وبين الكنيسة التي ظهرت يوم العنصرة ؟ الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الاجابة عن السؤال الهام التالي : هل اسس يسوع الكنيسة ، ام هي جاءت نتيجة غير متوقعة لرسالته ؟

عندما نتكلم عن مصدر الكنيسة او خلقها فلا يخطرن لنا ان عملا واحدا من اعمال يسوع قد اتى بها فجأة الى حيز الوجود ، لأن الاناجيل تعطينا صورة مختلفة . فما دونته من اعمال يسوع واقواله يدل على انه كان يصبو الى تأسيس الكنيسة . اذ حالما بدأ عمله الخلاصي ، بعد المعمودية والتجربة على الجبل ، جمع حوله الاثني عشر الذين اصطفاهم لأعلان اسرار الملكوت . واختياره هذا العدد بالتحديد لم يكن عبثا لأن في اسرائيل كان يوجد اثنا عشر سبطا . وهذا يعني اولا ان تلك الاسباط تخصه . وقد يفهم البعض ايضا من هذا الاختيار ان يسوع كان في وده ان تقتصر البشارة على اسرائيل فقط . لكن هذا التفسير لا يتطابق مع ما ورد في الاناجيل . ففي ايام يسوع كانت الامة اليهودية تتألف من سبطين او ثلاثة فقط وليس من اثني عشر سبطا (١١) . فيكون اختيار يسوع للاثني عشر لا يتعلق باسرائيل المعاصر له بل هو علامة نبوية تشير الى اسرائيل الجديد الآخروي اي الى الكنيسة التي تشارك في الملكوت وتنتمي اليه . وتشير كذلك الى ان ماسيا كان موجودا ، وانه الف جماعة خاصة به وهي جماعة ماسيانية . لم يأت يسوع ليعيش حياة العزلة والانفراد بل ليفتتح ملكوت الله و « يدعو الاثني عشر » (مر ٣ : ١٤) الذين سيدعون بدورهم الشعب الاسرائيلي والامم كافة ليتقبلوا مواهب الملكوت . لم يختر يسوع الاثني عشر ، هذا « القطيع الصغير » ليكونوا في عزلة كما كان الاسانيون ، بل « ليتلمذوا كل

الامم » (متى ٢٨ : ١٩) ، ويشكلوا جماعة ماسيانية على رأسها ماسيا بالذات .

كان اختيار الاثني عشر تلميذا عملا فريدا ان في العهد الجديد او القديم . فايليا تنفيذا لأمر الرب ، مسح اليشع « ليكون نبيا مكانه » (١ ملوك ١٩ : ١٥ ..) . ويوحنا اصطفى تلاميذ له ولكنه لم يفكر اطلاقا بجعلهم جماعة خاصة به، بل كان يتوقع منهم ان يعودوا الى اعمالهم السابقة (لو ٣ : ١٠ — ١٤) . اذن لا يوجد دليل واضح على ان يوحنا او غيره من القادة قد اختار تلاميذا بالطريقة نفسها التي اصطفى بها يسوع تلاميذه (١٢) .

واللقب الخاص « ابن الانسان » الذي اطلقه يسوع على نفسه كان القصد منه تأسيس كنيسة تحمل رسالته عبر العصور . هذا اللقب يشمل عمل يسوع في ناحيتيه الجماعية والفردية ويشير الى اصل وسر الجماعة الآخروية المتجذرة في العالم السماوي . وقد « نمت » الكنيسة انطلاقا من علاقة المسيح بعائلته (مر ٣ : ٣١ — ٣٥ وما يوازيها) . وعائلة يسوع هي الجماعة المجتمعة باسمه اي الكنيسة . وكل الصور التي اعطاها السيد عن تلاميذه مثل « القطيع الصغير » او « ملح الارض » او « نور العالم » تدل على ان جماعة آخروية ستوجد .

يؤكد النقاد المتطرفون على ان المسيح لم يؤسس الكنيسة وانها لم تكن ابدا احد اهدافه . لكن جواب يسوع لبطرس بعد الاعتراف به يؤكد على ان يسوع كان يريد تأسيس كنيسة : « انت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) (١٣) . وقد وعد يسوع بأنه سيوجد شعبا جديدا لله ، واسرائيل جديدة ، وذرية مختارة وامة مقدسة (١ بطرس ٢ : ٩) . شعب الله هذا هو الكنيسة (ekklesia) اي جند المسيح ومكان حضور الله .

كذلك الكلمات التي فاه بها يسوع في العشاء الاخير تدل بوضوح على ان فكرة الكنيسة كانت حاضرة في ذهنه . وكان حضور يسوع عند تأسيس سر الشكر بحالتين : منظورة وسرية ، اذ كان « مع » التلاميذ و « في » داخلهم . واما الفصح القديم الذي

كان يعيد (بضم الياء وتشديد الياء وفتحها) له كذكرى للخروج فغدا فصحا جديدا يعيد فيه لذكرى يسوع (١٤) . وما تأسيس سر الشكر الا لأن يسوع اراد ان يكون حاضرا مع تلاميذه وان يبقى معهم « الى انقضاء الدهر » . فلو كان يظن بأن النهاية اصبحت وشيكة لما كان بحاجة الى تأسيس سر الشكر ما دام لن يكون للكنيسة متسع من الوقت للعيش في التاريخ .

لقد افتتح يسوع الملكوت واسس الكنيسة . وتشير الشواهد الانجيلية على انه توقع ان يبشر (يفتح الشين) بالانجيل بعد موته وقيامته (١٥) ، وان قوة ملكوت الله التي انبعثت من اقواله واعماله ستبقى فاعلة في الكرازة الانجيلية واسرار الكنيسة ، وان ملكوت الله سيكون حاضرا بطريقة جديدة خلال الفترة الزمنية الممتدة بين العنصرة والمجيء الثاني . والكنيسة لا تؤلف بعد ملكوت المجد لكنها الجماعة الاخروية التي تعيش مرحلة الوصول الى هذا الملكوت . فالكنيسة تشارك منذ الآن في الدهر الآتي وتختبر مجد الملكوت في الوقت الذي تتوقع فيه مجيء هذا الملكوت . ستثبت الكنيسة حتى مجيء الملكوت و « قوات الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) .

في هذه الكنيسة التي هي ملك المسيح القائم من بين الاموات كتبت الاناجيل وحفظت صورة المسيح ونقلت عبر الاجيال ولا نزال نسترشد فيها بأقواله وافعاله .

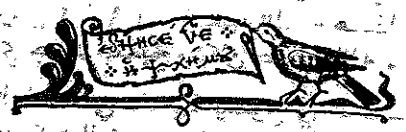

الخاتمة

ان نور القيامة يضيء كل صورة المسيح التي في الاناجيل ، لأن الانجيليين رأوا كل شيء في منظار القيامة معبرين بذلك عن اعتقادهم بأن المسيح الناهض من القبر هو نفسه يسوع التاريخي . وقد زودتنا الاناجيل بالمادة التاريخية التي تخولنا التمييز بين يسوع اثناء خدمته العامة ورب الكنيسة بعد القيامة . لكن هذه المادة نفسها تحظر علينا اي فصل بينهما لأن « يسوع » هو « المسيح » .

هذه وجهة نظر العديد من النقاد المعاصرين . لكن ينزع البعض الآخر منهم الى التشكيك بالرواية الانجيلية ، ويذهب الى مواقف متطرفة . وهؤلاء غالبا ما يرتكزون على ما يبدو لهم معقولا مما هو خلقي او لاهوتي ولربما نفسي . ويفرقون بين يسوع التاريخي ومسيح الايمان . هذا النوع من النقد عامة ينطلق من رغبة الناقد في التخلص من كل عنصر فائق الطبيعة ومن نفي اي تدخل لهذه العناصر في التاريخ .

المنهج النقدي المطبق حاليا لم يبلغ حد الكمال ولكنه رغم محدوديته يبقى الافضل بين المناهج الموجودة حاليا . ولا يوجد منهج معصوم عن الخطأ . فالمنهج التفسيري الآبائي الذي يبحث في التماثل الداخلي بين بعض الشخصيات والاحداث التاريخية في العهدين القديم والجديد قد ادى ايضا الى بعض التطرف . فتماديهم في البحث عن هذه العلاقات الداخلية اضعف الميزة التاريخية لكل من العهدين القديم والجديد وقلل من شأن الاطار التاريخي للاعلان الالهي . لكن بالرغم من هذا فان بعض نتائج التفسير الرمزي للكتاب تبقى ذات قيمة ثابتة . فقد حدد آباء الكنيسة العلاقة بين العهدين واظهروا في تفاسيرهم وحدة الكتاب المقدس كما عبروا عن المعنى اللاهوتي لاحداث حياة المسيح . وهكذا كان نهجهم ضروريا من الناحيتين التاريخية واللاهوتية .

اما ادخال المنهج الحديث في التفسير الكتابي فلا يعني رفضا لمنهج التفسير الرمزي بل تشجيع للنقاد الحديثين كي يعتمدوا نتائجه ومنجزاته . فآباء الكنيسة اساتذة لنا وعلينا ان نتبنى موقفهم من الكتاب المقدس . لقد تأملوا الكتاب المقدس جيدا واحبوه فتمكنوا ان يكشفوا لابناء عصرهم ولنا كثيرا من اسراره ومعانيه . غير اننا لا نستطيع استخدام منهجهم للاجابة عن اسئلة تاريخية تثار اليوم. وهكذا فان كان منهجهم لا يلائمنا دائما فعلينا ان نتبنى مواقفهم ورؤيتهم وان نقترب من الكتاب المقدس بروح اولئك الذين كرسوا حياتهم من اجل الوصول الى فهم صحيح له . وتجدر الاشارة الى ان موقف الآباء من الكتاب المقدس لا يتعارض بالضرورة مع الدراسات التاريخية التي يقوم بها العلماء المعاصرون .

تضطرنا الاناجيل الى اثارة تساؤلات تاريخية ، وعقيدة التجسد نفسها : « الكلمة صار جسدا وحل فينا » (يو ١ : ١٤) تستدعي البحث الكتابي . اذ اننا لا نستطيع ان نعلن عن عمل الله في التاريخ ونهمل في الوقت نفسه البحث التاريخي في مدونات هذا الاعلان الالهي اي الكتاب المقدس . ورفض لبحث كهذا يقود الى التقليل من اهمية التجسد التاريخي ويؤدي الى احياء الميول الدوسيتية والى تشجيع التعلق الاعمى بالحرف في الكنيسة على نحو خفي (crypto-fundamentalism) .

لقد جعلنا النقد الكتابي نتأكد من ان الهم الاوحد للاناجيل هو الشهادة بان يسوع هو الرب ، علما بان الذين يستخدمون المنهج النقدي لا يستطيعون ان يبرهنوا او يدحضوا صحة هذا التأكيد . وعندما اعترف بطرس بالوهية المسيح قائلا : « انت هو المسيح ابن الله الحي » ، اجابه يسوع : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا ، لكن ابي الذي في السموات » (متى ١٦ : ١٦ — ١٧) . لا يستطيع النقاد ان يبرهنوا او يدحضوا ان يسوع هو ابن الله الحي ، لكنهم يستطيعون التأكيد ان تلاميذ المسيح الذين عايشوه وتقبلوا تعليمه ، فارسلهم ليبشروا به ، هؤلاء آمنوا به وتعبدوا له . اننا نعرف يسوع بواسطة شهادتهم . اما الوثائق التي تضم هذه الشهادة فهي تمدنا بالمادة الضرورية التي تصلح لا للتأمل فقط ، بل للبحث التاريخي .